ستون سنة

ستون سنةً ، سارت في خلالها الحضارة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الافكار تنبهٌ ، وفي الآراء تعديل ، وفي الآداب ثورة ، وفي المعتقدات انقلاب ، وفي نظم الحكم تحوُّل ، وفي امور المعيشة ارتقاء لا يضاهيه ارتقاء في كل ما سبق من عهود التاريخ ، وفي جميع فروع العلم وابواب البحث ، اكبابٌ على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى ، والعلماء في كل قطر ، مثابرون في كل صقع ، مكبّون على كل موضوع ، يبحثون ويمحّصون ويكشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او مرض او موت ، وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيه ، ورفات نظرياتهم وآرائهم

هذا والطبيعة لا تزال كما كانت ، الها تحدى الركائب ، وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تطلّق أبعد الغايات . كواكب وسيارات ، واثار ومذنبات وسدم ، ترصع الفضاء ، وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في سهولها وجبالها ، وانهار تحتفر مجاريها في التراب ، وحيوانات تبقي هيا كلها في طبقات الثرى ، وانبتة تكتب قيرياتها في اطباق الفحم ، ورجال يقلبون الغامر عامراً والعامر جنة تجري من تحتها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات ، والجوُّ حافل بالاشارات ، والاجتماع كرة تتقاذفها قوى الدفع والجمع ، والارض كلها رقعة دوّن فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء ، والرقعة في ظرف مختوم ، والعلم يرنو الى فض الظرف واعلان محتوياته واسراره

من اكثر العلوم النظرية دقة وغموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها اثراً في معايش الناس ، من ادق المعادلات الرياضية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة ، الى احدث المكتشفات والمستنبطات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمخابرات والوقاية والعلاج ، الى اشهر المذاهب في الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس — كل ذلك اصاب من التقدّم والتحوُّل في الستين السنة الماضية ، ما يجعلها من اعظم العصور مقاماً في تاريخ الانسان على وجه الارض

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولاً امينًا بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، في ميدانه الرحب التقت اقلام العلماء والادباء والفلاسفة ، من ابناء الحضارتين ، والمقتطف واقف للحضارة بالمرصاد ، يقتطف من العلم كلّ طارف وكلّ تليد ، ويقيّس من الاجتماع والادب كلّ اتجاه ، ويزفُّ نباءهُ اجمالاً او تفصيلاً الى ابناء الشرق العربيّ ، في غرة كل شهر ، في ثوب ، آيتهُ البساطة والسلامة ، وغرضهُ الفائدة الخاصة والخدمة العامة

تلّب صفحات مجلداته الثانية والثمانين ، تتوالى امامك مواكب الاعلام ، في مركبات فاخرة ، من العلم الراسخ والفكر المتوقد والخيال الذهبيّ والخلق الكريم هنا تجد ، اعلام الفلسفة من افلاطون

وارسطوخانيس الى الكندي والفارابي وابن سينا ، الى كانت وكونت وسبنسر ونيتشه ووليم جيمز وهنري برغسون. واعلام العلوم الطبيعية والفلكية ، من طاليس وارسترخس وبطليموس ، الى ابن الهيثم وابن حيان والبتاني الى غليليو ونيوتن وهوجنس ولافوازييه ومندليف وكوري ، الى ميكلسن وملكن واينشتين . واعلام العلوم الطبية ، من ابقراط وجالينوس الى الفافقي والرازي والزهراوي وابن البيطار ، الى هارفي وجنر ، الى باستور واستر وكوخ وبهرنج وروس وبانتنغ . واعلام الاجناس والمواليد من طبقة كوفيه ولينيوس وداروين ورسل ومندل وهكسلي وموركن . واعلام المخترعين من وط وستيفنصن الى مورس وبل ، الى اديسن ومركوني وده فرست وبيرد . واعلام الرواد من رواد المصريين القدماء الى رواد العرب في القرون الوسطى ، الى فاسكو دي غاما ، وكولمبوس ومجلان وسكوت وبيري وشكلتون وامندسن وحسين وبرد. واعلام السياسة والحرب والادب والشعر والعمل والمال ، الى ارباب العلم والفكر والخيال في الشرق العربي — كريليوس فانديك ، وشبلي الشميل ، وسليم الموصلي ، وبوحنا ورتبات ، وبشاره زلزل ، وحسن باشا محمود ، ومحمود باشا الفلكي ، وشفيق منصور ، وقاسم امين ، وجبر ضومط ، وفرح انطون ، ومحمد كرد علي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وامين المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، وولي الدين ، وخليل مطران ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبد الحميد ، وطه حسين ، وايليا ابوماضي ، ومحمد شاهين باشا ، وحسين سري باشا ، والامير مصطفى الشهابي ، وامين الريحاني ، وعباس محمود العقاد ، وأنيس المقدسي ، واسماعيل مظهر ، والآلوسي . . .

جميع هؤلاء ، وعشرات بل مئات غيرهم من الاعلام الذين لا تتسع لمجرد ذكرهم صفحات برمتها من المقتطف اذاع المقتطف آثارهم او سيرهم او حقائق الموضوعات التي اشتغلوا بها والمذاهب التي ذهبوا اليها او خطرات نفوسهم الحساسة وأخيلتهم المذهبة . فكيف يسع الباحث ان يختار فصولاً تمتد على اصابع اليدين ، من ثمانية وثمانين مجلداً ، تربي صفحاتها على خمسين الف صفحة او ستين الفاً ، وتضم في نطاقها بحوثاً ونبذاً في جميع فروع المعارف القديمة والحديثة ؟

ان العمل متعذر بطبيعته ولكن ما لا يدرك على الوجه الاوفى لا يسعنا اهمالهُ كلَّ الاهمال بوجهٍ من الوجوه . فالفصول التي تتوالى في القسم التالي من هذا العدد التذكاري ، لم نراعِ في اختيارها صفة خاصة ، وانما كنا نفتح المجلد من المقتطف اتفاقاً ، ونقلب صفحاته ، فنستوقفنا بمقال يستوقف النظر ، بما اصاحبه من مقام ، او بما في بحثه من طرافة او حكمة ، او بما يدلُّ عليه من المراحل في تطور موضوع من الموضوعات وارتقائه

وقد يعجب القارىء اننا لم ننشر في هذا العدد مقالاً من المقالات العلمية التي كان منشاءُ بكتابتها فيه ، مع ان المقتطف مجلة علمية ، قبل ان تكون مختصة بالادب وما الى الادب من ألوان

الكتابة ، ولكن الحائل دون ذلك ، ان نصف ما نشر في المقتطف او اكثر من النصف كتبهُ منشاؤه او من تولى مساعدتها في تحريره ، فكيف يستطاع اختيار فصل او فصلين من ثلاثين الف صفحة ؟ يضاف الى هذا ان الموضوعات العلمية ، التي نشرت في النصف الاول من حياته اقرب الى بسط المبادىء والاصول لترسيخها في اذهان قرائه، فإعادتها الآن وقد ذاعت بواسطة معاهد التعليم والمجلات اتفاقية قلما يفيد . ثم ان سرعة التقدم العلمي في ما انقضى من هذا القرن كان سريعاً ، يبعث على الدهشة في سرعته ، فما كتب في بناء المادة سنة ١٩٢٠ لا يستقيم منهُ الآن الا جانب يسير ، وان مقالات المقتطف العلمية جمع بعضها في كتب على حدة اشهرها « بسائط علم الفلك » و « العلم والعمران » و « فصول في التاريخ الطبيعي » و « الرواد » و« معجم الحيوان» و « فتوحات العلم الحديث »

بسط المقتطف في خلال حياته نظرية التطور العضوي من جميع نواحيها ولاقى في سبيل ذلك عنتاً عظيماً كما بيّن الدكتور عمر في مقالته التي صدّرنا بها هذا الجزء التذكاري . وحارب السحر والشعوذة، وحذّر من التمادي في الاستسلام لاقوال المدّعين مناجاة الارواح وتصويرها، ووصف المذاهب الطبيعية الجديدة في علمي الطبيعة والكيمياء ، من ناحيتيها النظرية والعملية ، وكلف بالمباحث الفلكية وتقدّمها، ولم يغفل الآثار وطرائقها ومعانيها التاريخية، والتفت الى نواحي الارتقاء الاجتماعي، وشرح المذاهب المختلفة في علم النفس على القواعد التي رسمها فرويد ومكدوغال وكوهلر وباڤلوف والسلوكيون في اميركا ، ووضع في جميع هذه العلوم الفاظاً ومصطلحات عربية ذاع معظمها وصار مألوفاً، وأيّد نهضة المرأة الشرقية بالدفاع عن حقوقها واشراكها في تحرير المقتطف ونشر ما يلزم لها في حياتها العامة والخاصة ، وكان لا يدع موت علم من الاعلام ، او الاحتفال بذكر علم من الاعلام ، ان يمر من دون ان يبسط سيرتهُ او يلخصها ، سواء في ذلك العالم والطبيب والمؤرخ والاديب والشاعر. فالذين يعنون عليه انهُ لا يعنى الا بالعلم، ينسون الغرض الرئيسي الذي انشىء لهُ ، وينقلون ما جاء في مجلداته من مئات الصفحات بل من الوفها ، عن المتنبي وأبي تمام والبحتري وامرىء القيس وأبي العلاء وشكسبير وملتن وشلي وتنسن وبيرون وكيتس وهاردي وغالزوردي وبرنارد شو وڤيكتور هوغو وجوته وبيرلوتي وأناتول فرانس وغيرهم وما نقل من آثارهم ، وما نشره من فصول في الاحتضارات والتعزيات ومنزلة الشعر في التاريخ ومرامي الشعر العالية ، علاوة على ما اثبتهُ من مختار الشعر لكبار شعراء العربية في عهده

فالفصول التالية في هذا الجزء التذكاري ليست الا نصيبة مختارة من مواكب العلم والادب والتاريخ كما توالت في صفحات المقتطف من ستين سنة الى يومنا هذا